الملكة تيتي شيري

وعصر التجديد الوطني في مصر

بقلم حضرة صاحبة السمو السلطاني الاميرة قدرية حسين

(٢)

وقصة البلاغ النهائي الذي ارسلهُ ابوبي الى سيكنرا طلية جدًّا ولكن درج البردي[١] الذي دونت فيهِ مزق لسوء الحظ وتركيب بعض عباراتها غامض احيانًا او غير مفهوم البتة وسأحاول مع هذا نقلها هنا باذلة جهد الطاقة في اظهار هذه الحقيقة وهي ان عسف ابوبي كان سببًا في انتقاض سيكنرا واليك ما جاء فيها ملخصًا :

« حدث[٢] ان بلاد مصر نكبت بنكبة (الاجانب) ولم يكن لها قط في ذلك الوقت إله ولا ملك من بنيها ولم يكن الملك سيكنرا سوى امير الجنوب ونكبت المدن بالآمو (البدو) وكان ابوبي اميرًا في اوار يسيطر على البلاد برمتها وكل موارد مصر وأطايبها لهُ وقد جعل سوتيخ Sutekh إلهًا ولم يرد ان يعبد اي اله آخر من آلهة البلاد فشاد لهُ هيكلاً قوي الاركان كأنما جعل ليدوم الى الابد وكان ابوبي يقصد الى هذا الهيكل كل يوم في موكب مهيب لكي يقدم الذبائح الى الاله سوتيخ مع القرابين اليومية وكان رؤساء مملكتهِ يحملون اكاليل الزهر في الهيكل اسوة بما كان متبعًا في هيكل را

ثم شرع ابوبي يبحث عن علة يرسل بها رسالة الي امير مدينة الجنوب وقضى اياماً في هذا البحث وبعد ذلك دعا اليهِ كبار رؤساء مملكتهِ ورباني سفنهِ وقواد جيشهِ المدربين فلم يستطع احد منهم ان يجد وسيلة ترسل بها الرسالة الى الملك سيكنرا فدعا ابوبي من ثم الدهاة من كتابهِ فقالوا لهُ :

« تنازل يامولانا وسيدنا الى الموافقة على هذا » ودفعوا الى الملك ابوبي بما اراد من الكلام ليرسلهُ في رسالة الى امير مدينة الجنوب وهو :

« يبلغك الملك ابوبي ان التماسيح في نرع البلاد تزعج نومهُ نهاراً وليلاً وانهُ لا يقر عبادة اي اله كان من آلهة بلاد مصر ما خلا آمون را ملك الالهة »

ومضت ايام كثيرة بعد هذا ثم ارسل الملك ابوبي الى امير الجنوب الرسالة التي

(١) Papyrus Sallier : British Museum
(٢) 17th & 18th Dynasties. Petrie

اشار عليهِ دهاة كتابهِ بارسالها ووصل بها رسولهُ الى امير الجنوب

فقال سيكينرا لرسول الملك اي رسالة تحمل الى مدينة الجنوب وما الذي جاء بك الى هنا فاجابهُ الرسول يجب ان تسرّح التماسيح التي في الترع لان الملك ابو بي لا يهنأ لهُ نوم . فاضطرب امير الجنوب ولم يدر بماذا يجيب رسول الملك ثم قال لهُ ما هذا الامر الذي ارسلك من اجلهِ سيدك . . . . . واعطى الرسول اطايب من اللحم واطيب من جميع الانواع واجابهُ : كل ما قلتهُ لي في تيتي . . . . (وهنا الكتابة مطموسة) ... وحينئذٍ عاد رسول الملك الى قصر سيدهِ

ثم دعا امير الجنوب اليهِ كبار رؤساء امارتهِ وربابي سفنهِ وقواد جيشهِ المحنكين واعلمهم بالرسالة التي ارسلها اليهِ الملك ابو بي فظلوا جميعاً سكوتاً كأنما العقدت السنتهم ولم يجيبوا جواباً لا خيراً ولا شراً

وارسل الملك ابو بي . . . . . »

وهنا انتهى المدون على درج البردي ولم ندر ما الذي ارسلهُ الملك ابو بي وحسبنا ان نعرف ان غلو الملك ابو بي في استبدادهِ حملهُ وهو في اوار حيث يقيم على ان يقول لتابعهِ في طيبة « ان التماسيح في الترع كانت تزعجهُ في نومهِ »

ولكن نجل تيتي شيري خرج للحرب رغماً من اضطراب مشيريهِ وضعف جيوشهِ وقاتل قتال الابطال فمات ميتة شنعاء[1] اثناء المعركة التي دارت رحاها في رأس الميدان ونقلت جثتهُ المشوهة الى طيبة حيث حنطت ودفنت على عجل

***

لم تيأس تيتي شيري والدة الملك بعد موت سيكينرا تلك الليلة المجيدة الاليمة بل اقامت على العرش ابنهُ الصغير كاموزي

وكان كاموزي حدثاً والحرب لا تزال حامية الوطيس فكان يقبل كارهاً النصائح السديدة التي لم ينتأ مشيروهُ يشيرون عليهِ بها لان الجمود كان متغلباً عليهِ ثم في ذات يوم جمع مجلس وزرائهِ وعزم على ان ينبري كأبيهِ لمقاتلة الرعاة القساة

وقد وجدت وقائع هذه الجلسة الشهيرة منقوشة على لوحة[2] صغيرة عثر عليها اللورد

(١) 17th & 18th Dynasties: Petrie. Queens of Egypt: Buttles
(٢) The defeat of the Hyksos by Kamose. The Carnarvon tablet No. 1 Journal of Egyptian Archeology: Allan Gardener. Five Years Excavation by Earl of Carnarvon & Howard Carter

كتارقن في طيبة منذ سنوات واليك ما قالهُ الكاتب في ذلك :

« كان ملك مدينة طيبة المقتدر كاموزي الذي خلعت عليهِ الآلهة الحياة الابدية ملكاً كريماً وقد جعلهُ الاله (را) ملكاً حقيقياً ومخولهُ السلطة بكل معانيها فقال جلالتهُ لمجلس عظماء حاشيتهِ المجتمعين في قصرهِ : كيف استطيع ان اشعر بسلطتي الملكية ما دام في اوار زعيم وفي كوش زعيم آخر واراني انا نفسي مضطراً الى التحالف مع آمو (بدوي) ومع زنجي وما دام كثير من الناس قد استولوا على جانب من ارض مصر وليس في وسعي ان اصل الى ممفيس رهم يحتلون هرمو بوليس وكيف تستريح والبرابرة قد بعثروا قواتنا واستعبدوها

« اني ذاهب لمهاجمتهم وبقر بطونهم ومرادي هو ان انقذ مصر واهزم الاسيويين»

فاجابهُ عظماء مصر قائلين : حقاً ان الاسيويين قد اوغلوا في زحفهم الى كوزاك Cusac (القوصية) وهزأوا بنا ولكن مصر لا تزال في قبضة يدنا تماماً فجزيرة اصوان منيعة ومصر الوسطى حتى القوصية معنا والعبيد الارقاء يفلحون اراضيهم الخصبة لمصلحتنا والماشية تأكل الكلأ في الاسواق. نعم انهم يحتلون مصر ولكن عند ما يهاجمونا يكون لنا متسع من الوقت لمقابلتهم بجيوشنا

غير ان هذا الجواب السديد الذي اجاب بهِ عظماء المجلس واشاروا فيهِ بالجري على سياسة اعتدال لم يقنع الملك الشاب وعوضاً من ان يستمع لهُ ويلتزم جانب الدفاع شرع في الهجوم وزحف هو ايضاً على الرعاة اه .

ولا ندري مبلغ النجاح الذي اصابهُ في صد الاسيويين وليس في قدرة احد ان يروي لنا الادوار التي تقلبت عليها هذه المعارك التي سالت فيها الدماء ولكن هذه الحرب التي بدأت معاركها التمهيدية في حكم الملك كاموزي دامت زمناً لا يقل عن عشرين سنة[1] ووضعت اوزارها في حكم احموسي الاول بالمعركة الحاسمة التي استمرت دائرة الرحى خمس سنوات كاملة [2]

وعلى كل حال فقد تقهقر الاسيويون شمالاً [3] بانتظام ولا شبهة في ان هذا التقهقر دليل الهزيمة وكانوا كلما جلوا عن منطقة من المناطق استولى المصريون عليها والنصر

(١) 17th & 18th Dynasties : Petrie
(٢) do do do do
(٣) Ancient Egypt : Winlock

حليفهم واتيح لهم في النهاية ان يكافئوا حلفاءهم الذين ظلوا امناء لهم في هذا النضال

ولكن كأس النصر لم تصفُ لهم تماماً اذ كان لامراء طيبة الابطال جيران اقوياء حسدوهم على المنزلة الرفيعة التي بلغوها فكانوا يشنون عليهم الغارة من حين الى حين ابا امراء الكاب فاعانوا الاسرة التي انقذت مصر بكل ما لهم من قوة [1] وفاد يحق الجوار ونالوا في مقابل ذلك من المكافأة ما ارضاهم

وقد عثر على قطعة من ورق البردي في ابو صير Abousir في الفيوم[2] دونت فيها اخبار زحف الجيوش المصرية وتقدمها بانتظام لاسترجاع الاراضي وردها الى حظيرة الوطن وفي هذه الورقة حساب[3] دخل جني من احد ممتلكات تيتي شيري[4] وكرياتها ولا شك في ان امتلاكها اراضي في الشمال برهان على ان العدو كان قد جلا تماماً عن تلك الجهات

ومات كاموزي شاباً [5] بعد ما ملك ست سنوات . ويؤخذ من النقوش المحفورة على نصلة سيف كشفت[6] في طيبة انهُ كان ملكاً شجاعاً « انجبهُ توت Thot ابن را المنتصر الى الابد » . ولما عثر ماريت في سنة ١٨٥٧ في مدفن دراع ابو النجا [7] على موميا هذا الملك البطل وجد على ذراعهِ اليسرى خنجراً جميلاً معلقاً على الزي النوبي في اعلى المرفق بجديلة من ورق البردي

***

ولما خلف احموسي الاول[8] اخاه كاموزي على العرش كانت جدتهُ تيتي شيري لا تزال على قيد الحياة [9] كما سنرى فيما يلي وكانت الحرب مستعرة اللهب ومصير البلاد معلقاً في ميزان القدر

وقد لا يتيسر لنا ان نعرف بالضبط كل ما وقع ولا ان نقف على كل ما عملهُ ملوك

---

(١) Ancient records : Breasted
(٢) Erman
(٣) The Queen Teti-Sheri grand mother of Ahmes : Winlock
(٤) Kings & Queens of Ancient Egypt : Winlock
(٥) 17th & 18th Dynasties : Petrie
(٦) Tombs of 17th Dynasties Kings of Thebes : Winlock
(٧) Collection Evans ; History of Egypt : Budge. Gazette des Beaux Arts : Pisani & Brugsch
(٨) 17th & 18th dynasties : Petrie
(٩) Ancient Egypt : Winlock

طيبة البواسل وكيف سدّوا النقص في صفوف جيوشهم في هذه الحروب التي بلغت شجاعة الشعب فيها وحميتهُ مبلغاً ليس في الحسبان لان المدونات التاريخية الخاصة بهذه المدة الحافلة بالاضطراب لا تزال نادرة ومبعثرة هنا وهناك على طول شقتي النيل وبتعذر في الوقت الحاضر جمع تاريخ تلك الحرب الوطنية بالدقة غير اننا لما زرنا مدينة الكاب[1] المنيعة البهيجة استطعنا ان نعرف بالتقريب كم من الزمن دامت الحرب وان نقف على مبلغ شدتها وما وقع في اثنائها من الثورات الداخلية وطول الحدود المصرية بعد ما تحررت البلاد

وقد كانت الكاب هذه عاصمة مصر العليا في عصور التاريخ الاولى ولهذا السبب كانت فيها قلعة حصينة جدًّا اقيمت لصد تيار الشعوب المندفقة عن طريق اودية الصحراء سواء من نوبيا العليا او من السودان الغربي او من دارفور وارجائها القهقرى وكانت الكاب ايضاً موضع ازماع القوافل التي تشتغل بالتجارة في البحر الاحمر وتجلب ما يستخرج من مناجم الذهب . وكانت امراء الكاب اهل نجدة فشدوا ازر ملوك الاسرة السابعة عشرة ولم يفت هؤلاء ان يكافئوهم[2] على الخدمات التي ادوها لهم

وكانت هذه المدينة الحصينة كمقاطعة خاصة لهم وظلوا زمناً طويلاً جدًّا يحملون هذا اللقب الشريف وهو « حراس قلعة الكاب »[3] ولا يزال منظر المدينة حتى اليوم ينبئ بانها كانت مقاطعة للامراء ومنهُ يظهر ان اولئك الحلفاء المخلصين للملوك المصريين المحررين لبلادهم كانوا اصحاب نفوس عالية ومعاطس ابية

في هذه المدينة رحاب واسعة ويحيط بمواضعها التاريخية جمال وحشي وبها المجاري العميقة التي شقتها السيول المنحدرة من الجبل والاراضي المعرضة لرياح الصحراء العاصفة والاودية الملتهبة بحرارة الشمس المحرقة والنابت في بعض نواحيها زهار جميلة لا نعرف لها اسماء. والصخور الشاهقة التي مرَّ بها منذ اقدم عصور التاريخ السيّاح او الحجاج[4] ونقشوا عليها اسماءهم واشكالاً من كل نوع. وهذه كلها اشياء لابد للزوار ان يراها و يجيل نظرهُ فيها وان يجلس امام ذلك السهل المترامي متأملاً مفكراً تحت اقدام هذه المقاصير الصغيرة الصامتة في طرف الصحراء حيث القوافل في العصور الاولى كانت تشعر وهي عائدة من مناجم الذهب بحاجتها

(١) Guide to the Antiquities of Upper Egypt : Weigall
(٢) Ancient Records : Breasted
(٣) M. G. Foucart
(٤) El-Keb : Quibell

الى رفع الصلوات الى الآلهة — نقول لابد للمرء ان يرى كل ذلك لكي يفهم نفوس امراء الكاب حق الفهم و يقدر رجولة اولئك المحاربين الاشداء الذين كان لهم نصيب عظيم في تحرير مصر حق قدرها

لقد كان كل شيء عندهم عظيماً هائلاً ولا شك في ان اعظم هؤلاء الامراء بسالة[1] هو امير البحر احموسي بن ابانا المتقدم ذكره فقد شاء بناء قبره في جوف الجبل الصخري المشرف على المدينة الحصينة وعلى السهول المترامية وعلى النيل. وهناك على بعد من القلعة قناطر الكوم الاحمر[2] يحيط افقهُ بنطاق من الابدية وقد قال لنا انهُ شرع في بناء قبره[3] لما اخذت تنتابهُ الاسقام والامراض لكي يستريح فيهِ بعد ما ملكت يداه جميع النعم الملكية

وفي صباح يوم من ايام الشتاء الباردة اعتزمنا ان نزور مرقدهُ الاخير فوجدنا ذلك الربان القديم منتصباً بربنا على الجانب الايمن من الخائط تاريخ حياتهِ الطويلة وعلاوة على ما في هذا التاريخ من اللذة[4] فانهُ الوثيقة الوحيدة الموجودة اليوم عن الحروب الوطنية التي حاربها الفراعنة العظام واليك خلاصة ما قرأناهُ تقريباً قال القبطان البحري احموسي بن ابانا ما يأتي :

«اتقدم اليكم يا أيها الناس جميعاً واخبركم بما نلت من النعم والتعطفات وكيف كوفئت سبع مرات بما أعطى من البلاد كلها بهدايا الذهب والعبيد وكيف أنعم عليَّ بالاراضي الكثيرة التي اقيم فيها فان هذه البلاد لا تسمح باغفال شأن الرجل الباسل

لقد ربيت في مدينة النخاب Enkhab (الكاب) وكان أبي واسمهُ (بابا Baba) جندياً من جنود المغبوط الذكر سيكنفرا ملك مصر العليا ومصر السفلى وحلت محلهُ في الخدمة في السفينة المسماة « الثور الوحشي » في عهد إله البلادين احموسي وكنت يومئذٍ شاباً ولم اكن قد اتخذت لي امرأة بل كنت اقضي ليالي في ارجوحة الخ

بعد ذلك نقلت الى السفينة « الشمالية » لاني كنت مقداماً وكان من عادتي ان اسير الى جانب مركبة الملك ماشياً على قدمي حين كان يطوف البلاد وعند ما عسكر

(١) Ancient Records : Breasted
(٢) Ruines & Paysages d'Egypte : Maspero
(٣) Guide to the Antiquities of Upper Egypt : Weigall
(٤) Journal 1918. The expulsion of the Hyksos : B. Gunn & Aelan Gardener

الجيش امام مدينة اوار عملت عملاً ينطوي على البسالة امام جلالته فرقيت الى مرتبة « عنوان ممفيس» ولما دارت رحى الحرب في قتال اوار أسرت اسرى فنحت مقداراً من الذهب جزاء بسالتي وستؤنفت المعركة في هذا المكان فنحت وساماً ثانياً ولما دار القتال في جنوب المدينة غصتُ في الماء واسرتُ اسرى و بلغ ذلك الى مسامع الملك فكافأني مرة اخرى بمقدار من الذهب ثم نهب الجند أوار فاحضرت من الاسلاب عبيداً وسبهم لي جلالة الملك

وعسكر الجيش ثلاث سنوات امام مدينة (وهنا الاسم لا يقرأ) ولما فتح الملك المدينة اسرت امرأتين فانعم عليَّ بجانب من الذهب وتركت الامتان لي و بعد ما فرغ الملك من قتال الاسيويين سافر جنوباً حذاء نهر خنتنوفر لكي يخضع النوبيين سكان الكهوف (وكانوا قد شقوا عصا الطاعة) واعمل فيهم السيف وغنمت عبيداً ولما عدنا منحدرين في النهر كان جلالتهُ مبتهج القلب جداً لانهُ اخضع اهل الجنوب واهل الشمال

وحينئذٍ جاء عدو من الجنوب ودنا يوم القضاء عليهِ فان آلهة الجنوب قبضت عليهِ وجلالة الملك ظفر بهِ في تيبيتو — ان — اتيو واسره هو وجيشهُ ومنحتُ بجارة جميع الاسطول عبيداً وعلاوة عليهم قطعاً من الارض ثم وصل هذا النص المدعو تيي ان وكان قد جمع حوله العصاة فقهرهم جلالة الملك ووهبت اراضي في المدينة التي هي مسقط رأسي

وحملت بطريق النيل السعيد الذكر ملك مصر العليا ومصر السفلى لما سافر الى كوش لكي يمد حدود بلاده وسحق الملك هذا البدوي النوبي في قلب جيشهِ وهناك قاتلت بكل بأس وشدة ورأى جلالة الملك شجاعتي ثم اعدتُ جلالتهُ الى مصر في يومين من ابتداء آبار (هراو) Hraw فكوفئت وجعلت جندياً للملك

وقد حملت بطريق النيل تحوتمس الاول المفخم ملك مصر العليا ومصر السفلى لما سافر الى خنتنوفر لقمع الثورة التي شبت في جميع انحاء البلاد ورقيت الى منصب ربان وعاد جلالة الملك منصوراً على جميع البلاد ونزل الى البر في كرنك

بعد ذلك اراد جلالتهُ ان يمد حدود بلاده فسافر الى النهرين في اسيا وانتصر واسر اسرى عديدين وقد غنمت جواداً حيًّا بمركبتهِ والجندي الذي كان يسوقها وكوفئت على ذلك

والآن قد صرت هرماً وانا مكرم كما كنت قبلاً و . . . . بيت قبري » اه

التتمة في العدد التالي